الثعبان والانسان

للدكتور حسين فرج زين الدين

دكتوراه فى التاريخ الطبيعى من فينا

من رسالة قيمة وضعها فى (الحيات المصرية) ستنشر بعد قليل تباعا

لعل من يزور حدائق الحيوانات بالجيزة لايستوقف نظره شيء اكثر مما تستوقفه تلك الحيات السجينة فى بيوتها الزجاجية ، فهى على الرغم من جمال منظرها وماهو معروف من نعومة ملمسها تبعث فى النفس شيئا من الاشمئزاز والكراهية ، وعلى الرغم من سجنها والامان من شرها يهتز القلب فزعا منها ، ولعل السر فى ذلك تلك الاعتقادات السائدة التى تناقلها الناس جيلا بعد جيل عن فتكها وخياناتها حتى جاء ذكرها فى كثير من تشبيهات الكتاب وخيال الشعراء .. كما ورد ذكرها فى الكتب السماوية

وقد يكون ذلك راجعا الى شكلها الطبيعى ووقوفها شاخصة لاتغمض ولاتطرف وحركات لسنتها الدائمة السريعة ، واعتقاد الناس خطأ أنها أعضاء اللدغ منها فترى أثر الخوف منها شديدا فى نفوس الكبار الذين عرفوا شيئا عنها ، ولكن الاطفال الصغار لايدركون قليلا ولا كثيرا من أمرها ، وكذلك صغار القردة قد ترى الافاعى زاحفة فلاتخشى ان تقترب منها وتلمسها وتلعب بها ، وقد ايد هذه المشاهدة البحاثة ميتشل فى تجارب عدة قام بها ، وقد أثبت كل من الباحثين wall & Mell بعد بحثهما فى أفاعى الهند والصين انها على ضخامتها تفزع من الناس ، وتفر منهم ولا تحاول ايذاءهم الا حرجة مضطرة للدفاع عن نفسها ، غير ان ذلك لم يقلل من اعتقاد الناس بخطرها ، وليس هـذا عجيبا منهم فانها كانت دائما موضع اهتمام عظيم . كثر ذكرها فى الكتب السماوية وفى الديانات على اختلافها ، وفى الكتب الادبية والعلمية ، فهناك حية آدم عليه السلام ، وعصا موسى وثعبان كليوبطرة ، وترى اسكليبوس اله الطب عند اليونان يحمل عصاً ملتفة عليها أفعى ، وابنته هيجيا إلهة الصحة ترى دائماً معها أفعى تقدم اليها الماء ، وقد صنع عقداً لألهة ميزفا من صور الأفاعى ، وإن رأس ميدوزا إلهة الانتقام معصوب بها ؛ وكان قدماء المصريين يعبدون الناشر المصرى المعروف ، وكان من الخرافات السائدة فى الشعب فى ذلك العهد ، أن هذه الأفاعى الخطرة تختلط بالناس فى بيوتهم وتعيش بينهم على العسل والنبيذ لا تمسهم بسوء . ويروى أنها ظلت على هذا الولاء للناس حتى كان لأحد التجار طفل قعدا عليه يوما ثعبان صغير فلدغه فمات ؛ ولما عادت أم الثعبان رعلمت بجريرة ابنها قتلته ارضاء لآل الطفل . ومنذ ذلك اليوم هجر الأفاعى البيوت الى الخلاء ، وساجلت أبناء آدم العداوة ، وأضحت لدغتها قاتلة . ومنذ ذلك اليوم أيضا جعلت الأفعى رمز القوة ، ووضعت على تيجان الملوك القدماء .

ويروى بلوتارك المؤرخ الرومانى أن قبيلة السلر وهى من القبائل البائدة ، كانت فى رجالها مناعة طبيعية موروثة ضد سم الحيات ، وكانوا يحافظون على طهارة أصلابهم ونقاء دمائهم المحافظة كلها ، فلا يسمحون لنسائهم أن يتزوجن أو يتصلن أى اتصال برجال من غيرهم ، وكانوا يستوثقون من هذه الطهارة بان يطلقوا الحيات السامة على أولادهم حين ولادتهم فان قتلت واحدا منهم تبينوا خيانة أمه .

ومن الحيات المعروفة فى الهند ذات النظارة وتسمى الناشر الهندى ، وفى الاساطير التى تروى عنها ان الآله بوذا هبط مرة الى الارض على شكل انسان ونام فى الهواء فجاءت هذه الحية ونشرت عليه عنقها فأظلته من الشمس فجزاها على ذلك بان آمنها من شر المخلوقات جميعا ، وبعد حين ذهبت اليه الحية تقتضيه وعده وتشكو اليه الطيور الجوارح واضرارها بها فوهبها تلك النظارة تمتاز بها لدى الطيور فتخشاها ولا يصل اليها اذاها .

ومن الروايات الشائعة التى يتناقلها سكان الجمهورية الفضية ان البقرات التى يقل ادرارها تكون قد رضعتها الحيات ، بل يعزون ضعف بعض أطفالهم الرضع الى أن الحيات تمر ليلا بأمهاتهم فترضع ثديهن

واصلاحها بعدسة العين فلا أقل من أن نراها وهى فى مكانها بعدسة الجماد . ومن عجائب ماتستخدم فيه الكمرات مما يتصل بالطب ماقرأته أخيرا عن مريض فى البرازيل أصابه فى عينه مرض أعجز الأطباء . وكان لابد من تشخيصه عاجلا والا فقد المنكود بصره . وفى وقت غاية فى القصر صوروا عينى المريض وأبرقوا بالصور على اسلاك التلغراف الى برلين الى احد الأخصائيين ، وما لبث هذا الاخصائى أن فحصها وعاد فأبرق الى البرازيل بالداء والدواء . وبهذا نجا المريض من ظلام ليل دائم .

احمد زكى

ويعتقد الناس أن فى الحواة سحرا أو قوة خارقة يسلطونها على الحيات . فى الهند مثلا يمر الحاوى بالناشر الهندى ومعه عصا ومزمار ، فيظل يداعبه بالعصا والحية تعضها ، وبعد ان يكون قد أجهد التعب يزمر له فيهدأ ويسكن فيظن الناس أن الثعبان لا يلدغ الحاوى خوفا منه . والواقع انه يكون أفرغ سمه حين عض العصا كما يحسبون أن للقيثارة أثرا فى تهدئته ، والحقيقة انه التعب الذى اضناه .

وكذلك نرى حواتنا فى مصر يطوفون بانواع من الحيات يحملونها عادة فى جراب من الجلد ويلعبون بها اعابا مختلفة فيطوقون بها بعض النظارة أو يضعون رؤوسها فى أفواههم أو يمزقونها باسنانهم أو يتركونها تشرب من اناء ثم يشربون منه ، ومنهم من يدرب بعض القردة على اللهو بها وقذفها على الناس ويوهمون العامة ان ذلك راجع الى سر الولاية الرفاعية فيهم ، والحقيقة ان بعض هذه الحيات ليس ذا خطر مطلقا كالدساس الذى يعتقد الناس ظلما انه اشد انواعها خطرا ، وكأنواع الارقام وكبعض الحيات الاخرى الخطرة المنزوعة الانياب ، ولا يعرف غير الحاوى سر ذلك .

وقد حدث فى المنيا فى مايو سنة ١٩٣١ ان احد هؤلاء الحواة الرفاعية كان ينزع أسنان ناشر فأفلت من يده ولدغ . وحية الناشر محفوظة الى الآن فى المستشفى الاميرى هناك

اما الطريقة التى يستخدمها هؤلاء الناس فى امساك الحيات فانها ترجع اولا الى الذعر الذى يعترى الحية عند ما يفاجئها مفاجىء غريب فانها تقف بغتة بتاثير الحركات العكسية فيها ، ثم الى خفة حركة الصياد فى القبض على رقبة الحية ، وفى تحريك عصاه ، والى قوة تأثيره النفسى وشعور الحية بهذه القوة كقوة التنويم المغناطيسى . والدليل الآتى يؤيد صحة هذه النظرية . وذلك أنه قد تقدم أحد الاشخاص وكان يخاف من الحيات فامسك دساسا فعضه ، ثم تقدم آخر لا يخشاها ولا يخاف منها وأمسك الحية ، فلم تحرك ساكنا وكلاهما لا يدين بمذهب الرفاعية .

وعلى ذلك لا يجوز أن تعزى قوة الحواة الى شىء من السحر أو الولاية ، ولا أدل على ذلك من أن أهالى البرازيل وعمال حديقة الحيات الشهيرة عندهم يمسكون بأنواع الحيات ، ومنها ذات الجرس المخيف دون أن يمسهم سوء ، وهم ليسوا أتباعا ولا ينتسبون للرفاعى .

وقد شاءت حكمة الله أن يسلط بعض المخلوقات الحية على بعض حتى لا تزدحم بها الأرض أو يطغى جنس منها على غيره من الأجناس ، ولهذا نرى رحى الحرب دائرة بين هذه المخلوقات منذ نشأت الدنيا فبينما نرى الطيور الجوارح وغيرها يسيطر على الحيات فلا تكاد تراها حتى تنقض عليها وتمزقها تمزيقا فلا تحميها منها لسعاتها ولا سمومها ، تجد هذه الحيات بدورها مسلطة على الضفادع والسحالى وصغار الطير والذبيات ، ولا ينجو من شرها الانسان نفسه ، فكثيرا ما تعدو عليه وعلى أطفاله وعلى ما يربى من طيور وثديات نافعة كما تفعل الأراقم فى مصر والبواء فى الهند والبرازيل وهناك الحيات المائية الشرهة التى تفتك بالاسماك ، ويكثر فتك أنواع من الحيات بالانسان فان للغربية والناشر فى الهند وذوات الاجراس فى أمريكا والابتر والناشر فى افريقيا ضحايا لا ينهض بعبء احصائها العادون .

ولكنها الى جانب هذه الاضرار لا تخلو من فائدة ، فهى تقضى فى الهند على الفيران التى هى من أكبر العوامل فى نقل عدوى الطاعون فتقلل بذلك انتشاره وتحمى البيوت والمزارع من هذه الفيران كذلك وبخاصة الغيطية منها ، وبعض الحيات تأكل الديدان الضارة ، وهناك أنواع ضخمة تؤكل لحومها ويصنع من جلودها أجود أنواع الأحذية وحقائب السيدات .

مدارس المراسلات المصرية

بكالوريا . كفاءة . ابتدائية . لغات

صحافة . تأليف الروايات . رسم

المناهج على أحدث نظم وزارة المعارف المصرية والجامعات الاوربية والامريكية . رسوم فى غاية المهاودة ونتائج باهرة . كل تلميذ فى منزله فصل بذاته ومدرسته لتحل كلها له وحده . أطلب كتاب (طريق النجاح) ، و (كيف تكون كاتبا) يرسلا بدون أى مقابل ، فقط ١٠ مليمات طوابع بوسته تكاليف البريد . قسيمة مجاوبة فى الخارج . أكتب باسم :

محمد فائق الجوهرى

مدير مدارس المراسلات المصرية ١١ شارع سنجر السروري بالقاهرة

تليفون رقم — ٥٠٣٥٩